

البريسترويكا والامتدادات الآسيوية للاتحاد السوفياتي

عبد العزيز بنعبد الله

بدأت قصة البريسترويكا في أوروبا الشرقية بانبثاق زعيم سوفياتي جريء هو (ميكائيل كورباتشوف) الذي أحرز انتصاراً نادراً في جولته العارمة أدت به في أمد قصير إلى اعتلاء كرسي الرئاسة في نظام جديد فقد فيه الحزب الشيوعي هيمنته الاحتكارية. وقد بدأ (كورباتشوف) حملته الهادئة بالسعي في حمل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي على تعديل (البند السادس) من (الدستور السوفياتي) الذي يعترف لهذا الحزب الوحيد بالدور القيادي في البلاد، وفي هذا السياق الطريف انطلقت بوادر التعددية الحزبية في الدول التابعة بأوروبا الشرقية وفي الجمهوريات الاتحادية المنضمة إلى الكتلة السوفياتية، والواقع أن الجماهير الشعبية شعرت هنا وهناك بالتححرر من قيود خانقة سمح لها بالتخلص من الكبت والتعبير — في مظاهرات جماعية — عن إرادتها الانفصالية التي تكلل لا محالة بالاستقلال؛ فلننظر إذن كيف تعمل الجمهوريات السوفياتية الخمس عشرة للاستفادة من «فك الوصلة» هذه لتحقيق طموحها إلى استقلال طبع دوماً مسارها التاريخي؟ وكيف تواجه ما اختلف من تداخل بين القوميات ومن بؤر مفتعلة للتوتر؟

إن انصباب آثار التحولات التي عرفت أوروبا الشرقية على آسيا تمس قبل كل شيء مشكل الأقليات القومية والدينية، ففي أوروبا نفسها تشكل الأحداث الدامية الناتجة عن هذا المشكل في (رومانيا) خطراً جوهرياً على مجموع أوروبا الشرقية في عهد ما بعد النظام الشيوعي، وانبعثت المشاكل القومية في (البلقان) سيزداد استفحالا بسبب اشتداد الأزمة الاقتصادية. فهناك نزاعات عنيفة بين (هنغاريا) و(رومانيا) حول مصير وحقوق مليونين من (الرومانيين) من أصل (مجري) يعيشون في (طرانسيلفانيا) التي ضمها الاستعمار قسراً لرومانيا بعد الحرب العالمية الأولى. ويوجد في (بلغاريا) ما يناهز

المليون نسمة من أصل (تركي) كلهم مسلمون أدت ضغوط (بلغارية) على عدد منهم للهجرة إلى (تركيا) بسبب منعهم من حمل أسماء إسلامية واستعمال لغتهم القومية وأداء شعائهم الدينية. ولعل (بلغاريا) تذكر القرون الخمسة التي قضتها تحت الحكم العثماني. وهناك مراكز توتر أخرى مثل (يوغوسلافيا) التي يحدث فيها الصراع القومي بين (السريين) و(الألبانيين) في مقاطعة (كوزوفو) وكذلك مقاطعة (سيليزيا) في (بولونيا) التي كانت خاضعة لألمانيا إلى عام 1945 حيث يعيش حوالي أربعمئة ألف نسمة من أصل (جرماني).

وهذا الوضع يثير اليوم صراعاً حاداً بين القوميات في القارة الآسيوية :

إن (القوقاز) الذي ينتمي إليه (كُورباتشوف) يتكون من سلسلة جبال تمتد بين (البحر الأسود) و(بحر قزوين) حيث يرتفع مستوى الأرض عن سطح البحر بأقل من ألفي متر وحيث تتفجر براكين تعيش حولها شعوب تشكل فسيفساء من الجنسيات والسلالات في نطاق جمهوريات (أرمينيا) و(أذربيجان) و(جوركا). وقد قطعت بكيفية عشوائية أوصال الجمهوريتين الأوليين منذ عام 1920، الأمر الذي أثار موجات من الاحتكاكات أو الحروب السلافية بين الأرمينيين والأذربيجانيين الذين كانوا يعيشون قبل الثورة السوفياتية في ظل جوار وديع يحتفظ لكل سلالة بميزاتها.

والجمهورية الأرمينية التي يبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين وأربعمئة ألف نسمة هي أصغر الجمهوريات الثلاث، وعاصمتها هي (أيروفان) سكانها مليون وثلاثمئة ألف نسمة، في حين يبلغ عدد سكان (أذربيجان) ضعف ذلك (ستة ملايين وثمانمئة ألف نسمة) في مساحة تقدر بثلاثة أضعاف : 86.600 كلم²) وكلهم مسلمون شيعة يتكاثف ويتزاحم زهاء ثلثهم في عاصمة (باكو). وقد أدى التقطيع الاعباطي لهاتين الجمهوريتين إلى تسميم الأجواء التي ظلت صافية طوال قرون بسبب إقحام مقاطعة (ناكورني كارايخ) عام 1223 داخل التراب الأذربيجاني وأغلبها أرمينيون، في حين أقحمت مقاطعة (ناخيتشوفان) ونصفها (أذربيجانيون) داخل تراب (أرمينية) التي أصبحت تطالب تحت ضغط عوامل الصراع القومي الديني باستعادة (ناكورني كارايخ). ومما يزيد هذه الاحتكاكات حدة وخطورة متاخمة القسم الأذربيجاني المقحم في أرمينية عام 1224 لحدود كل من (تركيا) و(إيران)، مما شجع (ناخيتشوفان) على إعلان الانفصال عن الاتحاد السوفياتي. أما جمهورية (تادجيكيستان) الواقعة بآسيا الوسطى فإن حدودها تتاخم (الصين) و(أفغانستان) في مساحة تبلغ 143.000 كلم² يتأرجح في بحبوحتها أربعة ملايين ومائة ألف نسمة (عاصمتها

دوشامبي)، وقد عرفت هي الأخرى منذ يونيو 1989 أحداثا قومية دينية «بينسلاية» وهم مسلمون ينتمي ستة وخمسون في المائة منهم للسلالة الايرانية. وفي هذه البقاع نشأ وترعرع رجالات أفذاذ أثروا الفكر الانساني أمثال (ابن سينا) و(عمر الخيام) و(حافظ) كما أسهموا خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين في ازدهار «طريق الحرير» مع أوروبا و(بيزانس) و(الهند) والصين) وقد انضمت هذه المنطقة في القرن العاشر الهجري إلى (خانات بخارى) ثم إلى الامبراطورية الروسية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وانفتح في أكتوبر 1917 عهد الصراع بين (تادجيكيستان) والسوفييات الذين لم يستطيعوا الهيمنة عليها إلا عام 1929.

وهنا أيضا تتصارع أربع سلالات تشكل 40 في المائة من السكان خضعت أيضا لتقطيعات بين المراكز الترابية للسلالات منها (أوزبيكيستان) وعاصمتها (تشكنت) حاضرة (بخارى) التي ينتمي إليها الامام البخاري وكذلك (سمرقند) مسقط رأس (تيمورلنك).

والسلالات الثلاث الأخرى هي :

— (أوكرانيا) وعاصمتها (كييف) (خمسون مليونا وثلاثمائة ألف نسمة) ثرية اقتصاديا، تنتج وحدها من القمح وال فولاذ ما تنتجه فرنسا ومن الفحم ما يعادل المتوج الألماني وقد استحال عام 1918 إلى جمهورية وانضمت بعد أربعة أعوام إلى الاتحاد السوفياتي وكانت قد انفصلت عن تركيا العثمانية منذ عام 1664م.

— (كيرغيزستان) ينيف عدد سكانها على ثلاثة ملايين ونصف، وقد اندرجت عام 1936 في فلك الاتحاد السوفياتي.

— (تركمنيستان) (سكانها ثلاثة ملايين من التركمان) وهم أقرباء من الأتراك يندمجون في شعبي أفغانستان وايران وهي تشكل مع (كازاخستان) و(كيغيزستان) و(أوزبيكيستان) و(تادجيكيستان) آسيا الوسطى المعروفة بـ (تركستان) تقابلها (تركستان) الصينية المسماة بـ (سنكيانج) المتاخمة أيضا لـ (فيرجينيا السوفياتية المسلمة) وأفغانستان وباكستان ويعيش فيها عشرة ملايين من المسلمين. وإذا كان (لينين) قد شعر بالخوف من فورة الاسلام أكثر مما خشي فورة الرأسمالية فإن هلع القيادة الصينية اليوم لا يقل عن مخاوف السوفييات وغيرهم ممن يحسب للاسلام حسبانه إذ يعيش الجميع هاجس ثورة الأقليات القومية والدينية التي تخشى أن تشكل تحولا خطيرا في استراتيجية القوى الاسلامية، لا سيما وأن هذه المناطق عبارة عن كتلة جغرافية تجمعها رابطة الدين

وهي أولى المناطق التي يشهد تاريخ الثورات بأنها تمردت ضد النظام الشيوعي. وقد كانت روح الثورة لحد الآن كامنة تحت الرماد في معظم هذه الجمهوريات ضاعفت من حدتها ولأوائها تقطيعات سلالية وأزمات اقتصادية خلقت خمسة ملايين عاطل من (التادجيكيين) وحدهم وخصاصة خانقة في المواد الحيوية الضرورية، ففي عام 1986 بلغت نسبة هؤلاء العاطلين 25,7 في المائة في هذه الجمهورية المتاخمة لأفغانستان التي تخوض اليوم حرباً ضروساً ضد النفوذ الشيوعي ولهذا لم يتردد الاتحاد السوفياتي في تحريك دباباته لاختتام ثورات وصفت حقاً بأنها ضد الروس وإن كانت توضع أيضاً في لبوس احتكاكات قومية ودينية واجهتها كتائب الجيش الأحمر المكونة خاصة من (رديف الصقالية) وأحياناً من كتائب مرتزقة (أرمينية) يزج بها ضد قوات (أزربيدجان) التي أصبحت تنادي بالانفصال وبتكوين (أزربيدجان مسلم) حسب عبارة (ميخايل كورباتشوف) نفسه.

والواقع أن الشعب (الأزربيدجاني) — إذا اتخذناه مثلاً فقط لبقية الشعوب المسلمة في المنطقة — قد هب عن بكرة أبيه كما هب شعب الدول البلطية الثلاث في أوروبا من أجل الانفصال والاستقلال ففي مرسى (باكو) هدد قواد نحو الخمسين باخرة من حاملات البترول بنسف مراكبهم وتحطيم أرصفة محافر النفط إذا لم يغادر الجيش الأحمر البلاد ويترك الأمر لأهله وذويه الذين أحرقوا بطاقات الحزب الشيوعي ونُصب أعماد (لينين) ولوحوا بالرايات والألوية القومية وافتات كتب عليها حسب صحف سوفياتية عبارات مثل هذه (أفغانستان تعادل أزربيدجان). وقد التحق جنود (أزربيدجانيون) حاملين أسلحتهم وعددهم بصفوف الوطنيين، كما شوهدت تجمعات أرمينية بلغت نحو السبعين ألف شخص في عاصمة (ايروفان) وحدها متظاهرة ضد حالة الطوارئ المعلنة في منطقة (كوريس) شرقي (أرمينية) حيث تنادي جماهير الشعب ضد ما سمته بـ (بريسترويكا الدامية) ولم يتخلف الوزير الأول الأزربيدجاني الذي نصبه الشيوعيون عن التعبير عن عزمه نهج سياسة تؤدي إلى إقرار سيادة واستقلال (أزربيدجان) في نطاق النظام والسلام دون أية فوضى. وقد هدد (ماميدوف) الذي كان يحرسه فوج من (الازيريين) بأن (أزربيدجان) قد تتحول إلى (أفغانستان ثانية) في معارك فدائية ضد جنود السوفيات.

كل ذلك رددته الصحافة الشيوعية الرسمية في (موسكو) وأحاطته بهالات مرعبة حدثت (كورباتشوف) إلى الدعوة لعقد دورة طارئة للكرمليين لمواجهة هذه الحالة المأسوية التي لم يسبق لها نظير في (القوقاز) مسقط رأس رئيس الدولة الجديد. ولعل

(كُورباتشوف) يرغب في اظهار قوته بعد اعتلائه أريكة الرئاسة كما يرغب في أن يظهر للمجتمع الدولي أنه قابض على زمام الأمر، والواقع أن الوضع في هذه المنطقة بالذات أصبح خاضعاً نوعاً ما لما يسمى بـ (المجلس الوطني للدفاع) المنبثق عن (الجبهة الشعبية) لازربيدجان. وقد أصبح (كُورباتشوف) يواجه بالإضافة إلى هذا التأزم الاقتصادي والسياسي الداخلي خطراً خارجياً لأن (الأذربيجيين) بدأوا يتحركون في مواطنهم المختلفة خارج البلاد حيث يعيش خمسة ملايين منهم في (إيران) وحدها على أن المسؤولين السوفيات يتحاشون تجميد الوضع راغبين في تجديد الوصلة بالوطنيين تحاشياً لانتفاضة من طراز (انتفاضة أفغانستان). وقد أكد الملاحظون في (موسكو) أن هذه الرغبة تشكل الهدف الأساسي لمسئولي (الكريمليين). وليس معنى ذلك أن الكل موافق على هذا الاتصال لأن الكثير يرفض فكرة مفاوضات الحركات القومية التي يخشى البعض أن تتمخض عن تصدع في الاتحاد السوفياتي وهو الأمر الذي يقض مضجع (قائد الكريمليين) الذي يعترف هو نفسه بأن (البيريسترويكا) «تمر بمرحلة صعبة حاسمة».

نعم إن (كُورباتشوف) في موقع حرج لأنه يواجه تحركات انفصالية شرقاً وغرباً لا يريد أن يواجهها بقوة رادعة صارمة وإن كانت الملابس تختلف في (الشرق) عنها في (الغرب). ومع ذلك فإن (كُورباتشوف) يخشى عدوى الانفصال فيواجه حركة (الليتوانيين) في قلب أوروبا بالرفض الصارخ واصفاً إياها بعدم المشروعية ملاحظاً أن الانفصال عن الاتحاد السوفياتي ليس من اختصاصها البت فيه، كما رفض في البداية فكرة المفاوضات التي لا يمكن تصورها إلا مع دول أجنبية، في حين أن (ليتوانيا) «جزء لا يتجزأ من الاتحاد السوفياتي» — حسب تعبيره — ومع ذلك فقد دعت كل من (ليتوانيا) وشقيقتها (إيسطونيا) إلى اجراء مفاوضات مع الكريمليين في شأن الاستقلال، غير أن الاتحاد السوفياتي يود ربح الوقت حتى يصدر قانون يحدد مسطرة الانفصال ضمن اجراءات معقدة تمتد خمسة أعوام وتستلزم من بين مقتضياتها أداء تعويضات باهظة لموسكو مع ترك الكلمة الفاصلة آخر الأمر لمؤتمر (نواب السوفيات) حسب نص المشروع المعروض الآن. غير أن الجانب (الليتواني) يرفض الانصياع لهذا القانون الذي لا يصح الالتزام به — كما يقول — إلا بالنسبة لجمهورية سوفياتية في حين أن (ليتوانيا) قد تم اخضاعها بالقوة عام 1940 للانضمام إلى هذا الاتحاد مما حدا بالكثير من الدول إلى عدم الاعتراف بها فهي لا تعدو في حركتها الهادفة إلى الانفصال العمل على استرجاع حقوقها المفقودة .

ولعل استقلال أوروبا الشرقية لا يثير معارضة سواء بأوروبا الغربية أم بالولايات المتحدة الأمريكية، في حين نجد الولايات المتحدة تعبر عن معارضتها لانفصال

(أذربيجان) السوفياتية مطالبة بنهج أسلوب الحوار بين الجانبين. ولعل الإشارة إلى ضرورة الحوار، يؤدي بأن الولايات المتحدة تخشى مغبة استعمال العنف في المنطقة لاسيما وأن المسؤولين الإيرانيين قد أقنعوا السوفيات — حسب اذاعة ايران — بضرورة عقد اجتماع في (طهران) لمناقشة الوضع في (أذربيجان). ويظهر أن موسكو قد تلقت بقبول تام اقتراحا قدمه بهذا الصدد سفير (ايران) في موسكو لا سيما بعد أن جعلت (ايران الكرملين) أمام مسؤولياته ضد كل قمع للمسلمين الشيعة في (أذربيجان) مما قد يثير ردود فعل حادة في العالم الاسلامي (طبقا لعبارات وكالة «إيرانا» الاخبارية الايرانية). على أن الاف (الازيريين) السوفيات بدأوا يخترقون الحدود لأداء صلاة الجمعة في (ايران). وقد عقد (مجلس الأمن الوطني بايران برئاسة علي أكبر هاشمي رفسنجاني جمعا خارقا لدراسة الوضع في (أذربيجان) في الوقت الذي كانت المعارك مستعرة بعد دخول فصائل الجيش الأحمر إلى (ياكو). كما درس المجلس شريط الحدود الفاصلة بين ايران والاتحاد السوفياتي متخذاً عدة قرارات لم يعلن عنها بعد. وقد أكدت جريدة (ايزفستيا) السوفياتية أن (الازيريين) الإيرانيين يمدون بالسلح إخوانهم في (أذربيجان) المحتلة.

تلك حالة تثير مخاوف شديدة لدى الروس، وقد أبرز (يازوف) عضو الكرملين خطورة الوضع في الحدود الجنوبية مع ايران وتركيا. ومهما تكن حالة الهدوء الظاهرة الآن فان مستقبلا قائما يهدد بالانفجار في منطقة تنتقل فيها عدوى الثورة بسرعة خارقة رغم ثنائي الأطراف، لا سيما وأن (ليتوانيا) — وهي واحدة من الجمهوريات السوفياتية الخمس عشرة — قد أجرت انتخابات حرة نجح فيها المطالبون بالاستقلال وانطلقت لتأييدها أفواج من شعب (أوكرانيا) (كييف) في قلب الاتحاد السوفياتي، ولعل (الكرملين) بقائده الجديد يوجد اليوم أمام اختيار صعب، ومع ذلك فقد تجرأ على اتخاذ اجراءات تؤكد سلطة السوفيات على (ليتوانيا) واجهتها هذه عن طريق رئيسها المنتخب بأن هذا الموقف لا يركز على أسيسة قانونية وإلى المصالح المشروعة للاتحاد السوفياتي، يجب أن تحدد في مفاوضات.

وتتوالى تصريحات المسؤولين في موسكو حول ضرورة اشراف (وزراء الاتحاد) على المؤسسات (القائمة داخل ليتوانيا) وخاصة منها المراكز النووية والمرسى الاستراتيجي في (كالينينغراد) حيث يربط الأسطول الحربي لبحر البaltic، وتريد موسكو أن تظل في نطاق احترام الحريات حيث أكدت في تصريح رسمي احترام إرادة الشعب (الليتواني) الهادفة إلى اصلاح المجتمع وتعزيز سيادة الجمهورية، إلا أن تحقيق هذه المهمة لا يمكن أن يتم إلا ضمن احترام المشروعية الدقيق في الاتحاد السوفياتي.

وبالرغم عن هذا وذلك فإن (ليتوانيا) وجارتها (ايسطونيا) سائرتان في طريقيهما الديمقراطية رغم التهديدات الليتوانية فقد وجهت (ايسطونيا) هي أيضا خطابا إلى (كُورباتشوف) تطلب فتح مفاوضات حول استقلال هذه الدولة (البالطية). كما اتخذ المجلس الأعلى فيها عدة إجراءات لبلورة المطالبة بالاستقلال، وقرر أحداث سبعة وثلاثين مركزا على طول الحدود للحد من الصادرات غير المراقبة، وقد ألغت الدورية المحلية الكبرى من شاراتها صفة (السوفيياتية) حاملة منذ اعلان الاستقلال اسم (صدى ليتوانيا)، وهكذا يجد (كُورباتشوف) نفسه أمام اختيارين كلاهما جد صعب : فإما مواصلة المسار الديمقراطي الذي جرؤ على إعلانه أمام تصفيات العالم واما الاختيار العسكري الذي حاول في البداية تحاشيه مع المناداة بالشعارات الكلاسيكية الشيوعية تهدئة بخصومه، بل إن كُورباتشوف حاول أحيانا السبح في أجواء فلسفية عليا في عبارات غامضة فرارا من الواقع المر. فقد أكد أن احتمال الطلاق والفصل بين الزوجين لا يستلزمان التساؤل هل كان الزواج قانونيا أم لا ؟ ولعله يشير بذلك إلى أنه اذا كانت (ليتوانيا) قد تم احتلالها بكيفية غير قانونية فإن مسطرة انفصالها عن الاتحاد السوفيياتي يجب أن يخضع لإجراءات مشروعة. وتتضاعف حيرة الرئيس السوفيياتي بسبب الأزمة الاقتصادية الخانقة التي يعيشها الاتحاد السوفيياتي والتي تؤثر في شعوبه أكثر مما تؤثر منجزات (كُورباتشوف) السياسية، فلذلك يستعمل الاتحاد السوفيياتي في تعقيباته وردوده عبارات تترك الباب مفتوحا لإزاء الحكومة الليتوانية لا سيما وأن (ايسطونيا) نفسها قد أصبحت بعد الانتخابات الجديدة تحت نفوذ الهيآت المطالبة بالاستقلال مثل (الجهة الشعبية) والحركات الأخرى التي تملك مائة وخمسة مقاعد في البرلمان الجديد. في حين أن أنصار السوفييات لم يعد لهم سوى ثمان عشرة مقعداً، وإن كانت هذه الأقلية الشيوعية قد بدأ تحريكها في ظل الجيش الأحمر داخل تراب (ليتوانيا)، ولعل الوضع لم يتأزم كثيرا بسبب مواقف دول عظمى تعارض استعمال القوة وتدعو إلى الحوار.

ولكن ذلك كله لم يمنع السوفييات من اظهار نوع من الهدوء بخصوص الجمهوريات الآسيوية شاعرين بأنهم في مأمن من ردود فعل محتملة قد تنطلق من الأعضاء الخمسة الدائمين في المجلس التنفيذي للأمم المتحدة، لأن المشكل في ابعاده الدولية يمس على الأقل بريطانيا العظمى والصين بسبب وجود الحركة الانفصالية الايرلندية وامكان انتشار عدوى الانفصال بين القوميات الدينية الخاضعة للصين لا سيما في (اسنكيانج) التي تنفعل بقوة لما يجري في أفغانستان وباكستان المجاورتين. على أن

الولايات المتحدة الأمريكية بنفسها التي كانت ردود فعلها حادة إزاء تصرفات الاتحاد السوفياتي في (ليتوانيا) والتي أكد مجلس شيوعها مساندته لاستقلالها بل واستعداد الرئيس (بوش) لفتح سفارة في عاصمتها قد أكدت على لسان ممثلها في منظمة الأمم المتحدة — معارضتها لانفصال (أزربيدجان) عن روسيا معللة ذلك باعترافها منذ عام 1933 بالوحدة الترابية السوفياتية.

غير أن الخطوة الحق تكمن على الصعيد الدولي في كون الحركة تُهدّد باجتياح مناطق نفوذ أخرى للشيوعية في آسيا حيث حطم (تمثال ستالين) في (مونغوليا) بقرار من المكتب السياسي للحزب الشعبي الثوري المنغولي، وهي خطوة أولى — كما تقول (أونان) لسان الحزب الوحيد الحاكم منذ عام 1969 — نحو تصفية قرن سياسي. وقد قرر البرلمان المنغولي إلغاء البند 82 من الدستور الذي يخول الهيمنة للحزب الوحيد كما قرر إجراء انتخابات حرة وضمان حقوق الانسان. وتتوالى من التبعية لمذهبية ستالين مؤتمرات حركات تحررية أخرى، مثل (التجمع الديمقراطي المنغولي). وفي (أفغانستان) نفسها نادى الرئيس (نجيب الله) أمام البرلمان بإحالة الحزب الشيوعي إلى (حزب شعبي ديمقراطي أفغاني) يتخذ من مبادئ الدين الاسلامي وتقاليده المجتمع الأفغاني أسيسة لمذهبه، كل ذلك تزلفا للمجاهدين الذين انضم إليهم الجنرال (شبال نواز تاناي) زعيم الانقلاب الأخير في (أفغانستان) الذي أكد من جهته أن ثورته كانت ضد الاتحاد السوفياتي.

وإذا كان للعوامل الاجتماعية والاقتصادية أثرها الفعال في طبع هذه الثورة العارمة ضد الفكر الشيوعي الذي برهن عن قصوره، فإن الأمر قد تأكد فعلا بسبب انيار (الكوميكون) وهو (مجلس التعاون الاقتصادي) الذي أنشيء في عام 1949 والذي كان يضم سبعة من أعضاء (حلف وارسو) بالإضافة إلى (كوبا) و(الفيتنام) و(منغوليا). وقد شعرت (ليتوانيا) بهلته فانعزلت عنه منذ 1961. على أن مجموع دول العالم الثالث قد عبرت خلال تجمع لها في (باريس) عن خوفها إزاء ما يجري في أوروبا الشرقية رغم تقديرها لعوامله التحررية من فقدان بعض الموارد التي كانت تساعد على فك ديونها وضمان تطورها وذلك بسبب تغيير اتجاه المساعدات المالية العربية الجديد نحو أوروبا الشرقية.

على أن دول أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا عازمة على اثاره الموضوع بشكل جماعي خلال دورات (البنك العالمي) و(الرصيد النقدي الدولي) (F.M.I.) بواشنطن

لأن مساعدات مالية بدأت تنصب نحو أوروبا الشرقية علاوة على استثمارات أمريكية وأوروبية — صرح بذلك الرئيس الزنابوي) للجنة التابعة للمؤسستين المذكورتين وقد أثار هذا التحول مناقشات في (رابطة الدول الأوروبية C.E.E) نفسها، حيث تخشى بعض العواصم انخفاض الأقساط المخصصة للمناطق الأكثر خصاصة في الرابطة أو لأقطار العالم الثالث، لا سيما وأن اللجنة المختصة في الرابطة قد اقترحت منح دول أوروبا الشرقية — لتعزيز ديمقراطيتها وأسواقها — خمسمائة مليون (إيكو) عام 1990 ترتفع إلى 850 مليون عام 1991 وإلى مليار عام 1992. وهذه المبالغ تطابق تقريبا ما تقترحه اللجنة لفائدة دول مجموع البحر الأبيض المتوسط وأمريكا اللاتينية وآسيا، كل ذلك استجابة لأغلبية دول الرابطة التي تفضل تركيز مساعدتها لفائدة أوروبا الشرقية.

وهناك أثر آخر يتسم بطابع سياسي أعمق نتيجة سياسة «تغريب أوروبا الشرقية» فقد قرر الوزير الأول في ألمانيا الشرقية — على سبيل المثال — التنازل لزميله (الرئيس الاسرائيلي شامير) عن عدة مطالب اسرائيلية وفتح محادثات لحل المشاكل الناتجة عن نهب النازية لأموال اليهود التي أحالها الألمان إلى ملكية للدولة، على أن حركة تجديد الاتصال بدولة اسرائيل بدأت تنتشر مما قد يؤدي إلى تقلص أبعاد الرابطة بين دول أوروبا الشرقية ودولة فلسطين، لاسيما وأن الروس فتحوا الباب على مصراعية لهجرة اليهود السوفيات إلى اسرائيل مما أحدث بلبلة زادت الوضع تأزما. ولعل كل هاته العناصر قد تواكبت في أذهان أولئك الذين يحركون خلفيات السياسة الدولية خاصة بعد لقاء (مالطة) وما أثير حوله من وجود أوافق سرية، ومع ذلك فإن الرئيس (ياسر عرفات) المومن بحقه وبعقلانية مسعاه أكد أن هذه التحولات لا تؤثر في شيء إذ استثنينا عامل هجرة اليهود السوفييت — على موقف (منظمة التحرير الفلسطينية) في المفاوضات المحتملة مع إسرائيل، لأنها في الحقيقة «تحولات خدمت القضية الفلسطينية بتأكيد لحق الشعوب في تقرير مصيرها وفي حقها في الديمقراطية والحرية»، إننا نعيش مع ذلك فترة ترقب يجب أن نكون فيها يقظين !!